مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 25 العدد:2 السّنة: الثّلاثي الثّاني 2023 ص: 201-216

# الشّعريّة واللّسانيات البنيويّة، من التّجاور إلى التّجاوز

# poetics and structural linguistics, from proximity to surpassing

# of the the third-year elementary student

د. محمّد مداور*

تاريخ الاستلام: 2021-05-01 تاريخ القبـول: 2022-05-02

**ملخّص:** سنسعى في هذا المقال إلى تبيّن العلاقة بين الشّعريّة الحديثة واللسانيات البنيويّة، والمراحل التي مرّت بها هذه العلاقة. وتُعرّف الشّعريّة (Poétique )بأنّها الحقل المعرفي الذي يبحثُ في الخصائص والقوانين العامّة للأدب (شعرا ونثرا)، إنّها تهتم بالتّنظير، وتسعى إلى وضع نظريّة عامّة مجرّدة ومحايثة للأدب بوصفه فنّا لفظيا.

لذلك سنحاول في هذا البحث الإجابة عن الإشكاليات التّاليّة: ما علاقة الشّعريّة باللسانيات؟ وكيف تجلّى تأثيرُ اللّسانيات في الشّعريّة الحديثة؟ وما مدى التّزام الشّعريّة بالمنهجيّة اللسانيّة الصّارمة؟ وهل تميّزت العلاقة بينهما بالتّجاور أو التّجاوز؟ وما هي أبرز التّحوّلات التي عرفتها هذه العلاقة بدءا بـ"الشّكلانيين الرّوس" مرورا بـ "تودوروف" ووصولا إلى "جيرار جنيت"؟

**الكلمات المفتاحيّة:** اللّسانيات البنيويّة، الشّعريّة، الشّكلانيّة، علم الأدب.

**Abstract:** In this article, we will seek to show the relationship between modern poetry and structural linguistics, and the stages that this relationship has gone through. Poetics is defined as the cognitive field which examines the general characteristics and laws of literature (poetry and prose), it is interested in theorization and seeks to develop a general and abstract theory of literature as verbal art.

* - جامعة الجيلالي بونعامّة بخميس مليانة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: midaouar.med@gmail.com (المؤلّف المرسل).

In this article, we will try to answer the following research questions: What is the relationship of poetics with linguistics? How has the influence of linguistics manifested in modern poetics? What is the extent of poetic adherence to a strict linguistic methodology? Was the relationship between them marked by proximity or surpassing?

What are the most significant transformations of this relationship, from "Russian formalists" through " Tzvetan Todorov" to "Gerard Genette"?

**Keywords**: structural linguistics, poetics, formalism, the science of literature.

1. **مقدّمة:** أحدثَ ظهور كتاب "دروس في اللسانيات العامّة" للساني السّويسري الشّهير "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand de Saussure ) ثورةً في مجال الدّراسات اللغويّة في العصر الحديث، نظرا للقطيعة التي أحدثها مع الدّراسات التّاريخيّة والمقارنة للغة، ليؤسّس بذلك ما يعرف فيما بعد بـ "اللسانيات البنيويّة" والتي تنظر إلى الظّاهرة اللغويّة كبنيّة مغلقة مكتفيّة بذاتها، هذه النّظريّة كان لها تأثير كبير على حقول معرفيّة مختلفة شأن: الأنتروبولوجيا وعلم النّفس وعلم الاجتماع.

لكنّ التّأثير الأكبر للسانيات كان على حقل الدّراسات الأدبيّة؛ بحكم أنّ الأدب يعتمد بالدّرجة الأولى على اللغة، فمنذ أن ظهرت نظريّة "البنيّة" في اللسانيات عرفت الدّراسات الأدبيّة توجها جديدا وقويا لم يتوقف مدّه إلى اليوم[1]، ويتجلى هذا التّأثير بصورة واضحة في مجال التّنظير، أي: الشّعريّة (Poétique ) أو ما يسمّيه "رينيه ويليك" النّظريّة الأدبيّة؛ والتي تعرّف بأنّها "محاولة وضع نظريّة عامّة مجرّدة ومحايثة للأدب بوصفه فنّا لفظيا، إنّها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبيّة."[2] وقد بدأت هذه الجهود النّظريّة في العصر الحديث مع الشّكلانيين الرّوس.

**2.الشّكلانيون الرّوس وتأسيس علم الأدب:** حاول الشّكلانيون الرّوس تأسيس علم للأدب؛ وهو ما أطلقوا عليه فيما بعد مصطلح "الشّعريّة" (Poétique) وهذا لتخليص الأدب من براثن الإيديولوجيا التي فرضت نفسها على النّقد الأدبي زمنا طويلا.

لذلك ركّز الشّكلانيون على أطروحتين أساسيتين هما:

- تشديدهم على الأثر الأدبي وأجزائه المكوّنة؛
- إلحاحهم على استقلال علم الأدب.[3]

لكي تتحقّق الدّراسة العلميّة للأدب استند الشّكلانيون إلى اللسانيات السّوسيريّة فإذا كانت اللسانيات هي الدّراسة العلميّة للغة، فإنّ الشّعريّة هي الدّراسة العلميّة للأدب فقد رأى الشّكلانيون بأنّ المنهجيّة اللسانيّة هي الكفيلة بضمان شروط العلم الأساسيّة وهي: الموضوعيّة والدّقة والصّرامة المنهجيّة.[4] وقد انصبّ اهتمام الشّكلانيين الرّوس منذ البداية على دراسة المظهر اللساني للشعر، وما ميّز عملهم بعد هذا التّوجه البارز أنّهم أعطوا أهميّة خاصّة للتصنيف والنّمذجة والوصف الدّقيق المفصّل للأعمال الأدبيّة، ووضع المصطلح التّقني الذي يعبّر عن ذلك،[5] وهو الأمر الذي منحَ عملَهم صبغة علميّة وموضوعيّة بارزة، وشكّل الأسس الأولى لعلم النّص الأدبي الحديث.

لقد اهتمّ الشّكلانيون بالأشكال والبنيات كأنظمة أو أنساق مغلقة، وهو ما مكّنهم من استنباط النّموذج العام الذي يحكم الأنواع الأدبيّة، وخيرٌ مثال على ذلك: فلاديمير بروب (Vladimir *Propp*) الذي انطلق من الفكرة الشّكلانيّة في كتابه "مورفولوجيا الحكاية الشّعبيّة" 1928، وهو يعدّ أوّل محاولة لتشخيص المخططات السّرديّة في حكايات الجن الرّوسيّة، والكشف عن الوظائف كعناصر مستمرة في الحكاية الشّعبيّة، مع أنّ بروب احتفظ بكونه باحثا فلكلوريا.[6]

لعلّ أبرز تأثير للسانيات على الشّعريّة بوصفها تنظيرا للأدب يتجلى من خلال المشروع الذي جسّده اللساني الرّوسي الشّهير "رومان ياكوبسون"( Roman Jakobson) الذي يعدّ أبرز المؤسّسين لحلقة موسكو اللسانيّة، وبعد رحيله من روسيا انتقل إلى تشيكوسلوفاكيا وأمضى فيها ثمانيّة عشر (18) عاما، وهناك أسهم في تأسيس حلقة براغ اللسانيّة، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة عام 1941م وهو لساني مختص بالسّلافيات. وفي السّنوات التّاليّة وجّه اهتمامه إلى قضايا التّحليل الأدبي، وبالضّبط إلى "قواعد الشّعر" وكان عمله جسرا إلى البنيويّة الفرنسيّة الجديدة.[7]

يوضّح "رومان ياكوبسون" العلاقة بين اللسانيات والشّعريّة عندما يعرّف الشّعريّة بأنّها "ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالجُ الوظيفة الشّعريّة في علاقتها بالوظائف

الأخرى."[8] ثم يردف قائلا: "يمكن للشعريّة أن تعرّف بوصفها الدّراسة اللسانيّة للوظيفة الشّعريّة، في سياق الرّسائل اللفظيّة عموما، وفي الشّعر على وجه الخصوص."[9] إنّه يحاول تأسيس علم/ شعريّة للشعر من خلال التّركيز على المظهر اللساني لهذا الفن (الشّعر). ويتّفق "ياكوبسون" في هذا التّصوّر مع أغلب الشّكلانيين الذين يرون بأنّ مادّة الشّعر لا تتكوّن من الصّور ولا من العواطف، وإنّما تتكوّن من الكلمات. فالشّعر إذن فن لغوي[10].

يتجلّى التّأثير المباشر للسانيات السّوسيريّة في الشّعريّة الشّكلانيّة من خلال استناد الشّكلانيين في تنظيراتهم إلى الثّنائيات السّوسيريّة: (اللغة/ الكلام)، (الدّال/ المدلول) (المحور الدّياكروني /المحور السّانكروني)، (الصّورة الصّوتيّة/ الصّورة الذّهنيّة).

لقد ميّز "دي سوسير" بين اللغة والكلام واعتبر أنّ اللغة جماعيّة، وهي نظام من العلامات موجود في أدمغة كلّ فرد من أفراد المجموعة، والكلام هو الأداء الفردي للغة.[11] وتبعا لهذا التّمييز أقام الشّكلانيون الرّوس تقابلا بين اللغة اليوميّة العاديّة واللغة الشّعريّة؛ فالأولى تهدف إلى التّواصل فحسب، أمّا الثّانيّة فغايتها التّأثير الجمالي.[12] وعلى خطى "سوسير" سار "ياكوبسون" حين قام بدراسات حول الفونولوجيا، وحول وظائف اللغة وفتح باب البحث في الشّعريّة وفي الاستقلاليّة النّسبيّة للظاهرة الأدبيّة. وقد حدّد "كلود ليفي ستراوس" غرض البنيويّة بأنّه كل ما يتسم بطابع النّظام[13].

استند "ياكوبسون" في توضيح كيفيّة تحقّق شعريته التي تسمي "شعريّة التّماثل"[14] على مفهوم "دي سوسير" للمحورين الدّياكروني والسّانكروني، إذ يرى أنّ الوظيفة الشّعريّة تقوم بإسقاط مبدأ التّماثل لمحور الاختيار على محور التّأليف وبناءً على ذلك ينبثق نسق التّوازي.[15] وتعمل الوظيفة الشّعريّة على خلخلة البنيات اللغويّة، إنّها تعبث بانتظام داخل الخطاب الشّعري، إذ تنقل التّماثل من مكانه الطّبيعي (وهو محور الاختيار) إلى محور التّأليف، حيث يمارس بناء المتتاليّة، وهو العمل الذي لا يبدو منسجما مع مهمّاته، إلا أنّه يخلق ما يسمى "بنيّة التّوازي" حيث يوضع المقطع في علاقة تماثل مع المقاطع الأخرى للمتواليّة نفسها[16].

لم يكتف ياكوبسون بالتّنظيرات العامّة للشعر؛ بل حاول اختبار مقولاته النّظريّة من خلال تطبيقها على النّصوص الشّعريّة، ولعلّ أشهر تحليل أنجزه ياكوبسون هو

تحليل قصيدة "القطط" لموليير بالاشتراك مع الأنتروبولوجي البنيوي الشّهير كلود ليفي ستراوس، اثنان يلتقيان: الأوّل بمخزونه اللساني والصّوتي والثّاني بمعرفته الأنتروبولوجيّة العميقة. وقد كان هذا التّحليل بنيويا خالصًا لأنّه اعتمد على المنهج اللساني.

أعجب "رينيه ويليك" بهذا التّحليل الذي أنجزه الثّنائي البنيوي، حيث بيّنا الموازيات والتّطابقات والتّكرارات والتّقابلات بشكل مقنع، لكنّه يرى أنّهما لم يثبتا شيئا عن القيمة الجماليّة للقصيدة، وفي هذا السّياق انتقد "مايكل ريفاتير" التّحليل اللساني بقوله: "لا يعطينا التّحليل النّحوي لأي قصيدة أكثر من نحو تلك القصيدة."[17]

يبدو أنّ ياكوبسون كان انتقائيا في تطبيقاته، إذ تنطبق شعريته على الشّعر الموزون نظرا لبروز نسق التّوازي فيه. كما أنّه بالغ في تقويم قصائد مكّنته من تحليل أصواتها أو نحوها، أو أعجبته لأنّها تجري تجارب لغويّة، ممّا أدّى به إلى الإخلال بالمنظور الخاص بتاريخ الشّعر الحديث، حيث يعلي ياكوبسون من شأن الشّعر الذي يتلاعب باللغة على حساب التّراث الشّعري العظيم، وجعله يفضّل المدرسة المستقبليّة على المدرسة الرّمزيّة باستمرار.[18]

**3. البنيويّة الفرنسيّة: المرجعيّة السّوسيريّة والتّأثير الشّكلاني:** إنّ الهدف العلمي الذي نادت به الشّكلانيّة هو الذي شكل الأساس النّظري للبنيويّة الفرنسيّة مع "كلود ليفي ستراوس" (Claude Lévi-Strauss) و"رولان بارت" (Roland Barthes) و"جيرار جنيت" (Gerard Genette) و"جون كوهين" ( Jean Cohen) وآخرين.

اتّجه كلود ليفي ستراوس إلى اللسانيات البنيويّة من أجل الوصول إلى الدّقة العلميّة في دراسة الأنساق الاجتماعيّة، هذه الدّقّة التي تفتقدها الكتابات التّقليديّة في الأنتروبولوجيا، فقد حاول تصنيف فئات القرابة المحتملة بنفس الطّريقة التي اتبعها اللساني "رومان ياكوبسون" في تصنيف الأبنيّة الفونولوجيّة.[19] لذلك يعدّ "ستراوس" باحثا ملتزما بالبنيويّة بشكل مطلق وصريح، إذ يتميز باتّساق منهجه وبعقلانيته وبالمباشرة في نقل مكتشافاته وأفكاره إلى قرائه. فهو يعتقد بأنّ المنهج الذي اتبعه هو الذي مكّنه من جعل المعطيات التّجريبيّة حول مؤسسات القرابة والطّوطميّة والأسطورة أقرب إلى الفهم أكثر من أيّ وقت مضى، وقد انتهى بعد تفسيره لهذه

المعطيات إلى تحديد ما يعتبره الصّفات التي يختص بها الفكر البشري عامّة.[20] وبهذه الجهود يكون "ستراوس" قد أرسى قواعد البنيويّة في فرنسا.

وكذلك يعدّ "رولان بارت" من الرّواد الأوائل الذين اشتغلوا بالتّأسيس للبنيويّة الأدبيّة في فرنسا معتمدا في ذلك على اللسانيات البنيويّة والمفاهيم الشّكلانيّة، رغم أنّ بارت يصعب تصنيفه فقد جمع بين المفاهيم البنيويّة والسّيميائيّة والتّفكيكيّة والتّأويليّة والثّقافيّة، كما اشتغل بالتّنظير لعلم النّص، ويعدّ تحليله المطوّل لقصة "سارازين" (Sarrasine) لبلزاك مثالا واضحًا عن تأثير المفاهيم السّوسيريّة في نظريّة الأدب الحديثة، فقد اعتمد في تحليله للقصة على تقطيع القصة إلى عدد كبير من الوحدات التي سمّاها وحدات قرائيّة، مع مناقشته للقصة سطرا سطرا بدءا بتحليل العنوان.

وكذلك اعتمد "جون كوهين" في تأسيسه للشعريّة على مبدأ المحايثة في صورته اللسانيّة ليمنحَ شعريته صبغة علميّة، الأمر الذي حتّم عليه استثمار المبادئ اللسانيّة فقد اقترح لكي تكون الشّعريّة علما المبدأ نفسه الذي أصبحت به اللسانيات علما، وهو مبدأ المحايثة أي: تفسير اللغة باللغة نفسها.[21] وقد حدّد كوهين موضوع هذا العلم بقوله: "الشّعريّة علم موضوعه الشّعر"[22] فالشّعريّة هي علم الأسلوب الشّعري، إذ إنّ "كوهين" يركّز بالدّرجة الأولى على خاصيّة الانزياح في الشّعر لأنّه يتصور أنّ الشّعر هو "علم الانزياحات اللغويّة"[23].

يفترض الانزياح وجود معيار يتم الانحراف عنه، فالقصيدة الشّعريّة –حسب كوهين– هي انحراف عن اللغة العاديّة، لأنّ الشّعر يخرق قانون اللغة، وهو الخرق الذي يمنح النّص الشّعري شعريته، ولتحديد الخرق على مستوى الأسلوب وجب الاعتماد بالدّرجة الأولى على المنهج اللساني، لذلك استند كوهين في تحديد شعريّة الانزياح على مسويات التّحليل اللغوي الثّلاثة وهي: المستوى الصّوتي والتّركيبي والدّلالي.

إنّ اعتماد شعريّة كوهين على المنظور اللساني في تحديد الانزياح قد جرّ عليه كثيرا من النّقد، فـ "ميخائيل ريفاتير" مثلا: يشكّك في المعيار الذي يحدّد الانحراف فالمسألة هنا نسبيّة، من خلال إشراك القارئ في عمليّة تحديد الانحراف، فالقارئ يحدّد الانحراف وفق ما يعتقد أنّه معيار. كما أنّ نظريّة الانزياح قد أوقعت كوهين في التّجزيئيّة، وغيّبت من مقارباته للأسلوب شعريّة النّظرة الشّموليّة لبنيّة النّص الشّعري[24].

**4. الشّعريّة الفرنسيّة وطموح العالميّة:** التّقت لسانيات "دي سوسير" التي أكّدت على النّسق والبنيّة مع اكتشافات الشّكلانيّة الرّوسيّة فأدّت إلى ظهور حركة واسعة في فرنسا عرفت باسم "البنيويّة"، وقد لاقت هذه الحركة رواجا كبيرا في أوساط الأكاديميين والمثقفين الذين اجتهدوا في التّعريف بهذا الاكتشاف الجديد، وقد أعلن "تزفتان تودوروف" (Tzvetan Todorov) في ندوة ما هي البنيويّة Qu" structuralisme? "est—ce que le 1968 أنّ الشّعريّة الجديدة قد أقامت نظاما شاملا كاملا أو علما أدبيا على غرار العلم اللغوي، فالأدب اعتبر جزءا من اللغة مغلقا ذاتيا[25].

تفترض البنيويّة وجود نظام يحكم العالم والأشياء، والنّظام أو النّسق العام هو ما تحاول البنيويّة الوصول إليه (استنباطه)، ثم القيام بعد ذلك وفي اتجاه معاكس بتطبيقه على الأنساق الصّغرى (النّصوص الفرديّة).[26] وهنا يتجلّى التّطابق بين البنيويّة والشّعريّة التي تبحث في القواعد والخصائص العامّة التي تحكم الإبداع، حيث يقع استنباطها على عاتق المنظّر أو الباحث البويطيقي، أمّا تطبيق تلك القواعد المستنبطة على النّصوص الفرديّة فمجالها النّقد الأدبي.

يرى "تودوروف" أنّه لا يمكن للشعريّة إلاّ أن تكون بنيويّة وإنّ كلّ الشّعريات تظل بنيويّة ما ظلّ موضوعها ليس حاصل جمع الظّواهر التّجريبيّة (الأعمال الأدبيّة) وإنّما البنيّة المجردة نفسها وهي الأدب، ومن الطّبيعي أن تكون إنجازات اللسانيات الحديثة (دوسوسور وأتباعه) حاسمة في تشكيل أهداف الشّعريّة وتحديد مجالها الوظيفي[27].

إذا كانت اللسانيات البنيويّة علما وصفيا، فإنّ الشّعريّة وصفيّة كذلك، حيث تهدف إلى الملاحظة والتّصنيف وتحديد المميزات التي نجدها في الوسائل اللغويّة المستخدمة في الأدب.[28] وقد منحت الدّراسةُ العلميّة للغة التي افتتح بها "دي سوسير" القرن العشرين الشّرعيّة للنقلة العلميّة من ناحيّة، والنّموذج الذي يمكن نقله من الدّراسات اللغويّة إلى التّحليل الأدبي من ناحيّة ثانيّة، وقد جمع ليفي ستراوس بين الإنجازين في منتصف الخمسينيات. وهكذا قدّمت البنيويّة نفسها إلى العالم باعتبارها دراسة علميّة للأدب[29].

وإذا كانت اللسانيات علما لاعتمادها على النّموذج التّجريدي العام الذي يمكن تطبيقه على أيّ لغة من لغات العالم، فإنّ الشّعريّة تسعى إلى العلميّة من خلال محاولة استكشاف واستنباط النّموذج العام والكلي الذي يحكم الخطاب الأدبي، نموذج ذو

صبغة عالميّة يمكن تطبيقه على أيّ نص أدبي في العالم، وبناء على ذلك يمكننا القول إنّ الشّعريّة تحمل في طياتها مشروع عولمة الأدب.

يعتقد البنيويون أنّ البُنى الكليّة هي ما يحقق للمشروع البنيوي عالميته مقارنة باتجاهات ومشاريع نقديّة أخرى تتسم بالشّعوبيّة والعرقيّة، إنّها مشروع ضد القوميّة وضد كل ألوان الفرديّة، فالنّموذج البنيوي العام للأسطورة الذي وضعه "كلود ليفي ستراوس" يقبل التّطبيق على النّصوص الفرديّة/الأسطوريّة على اختلاف انتماءاتها القوميّة. وكذلك النّموذج المورفولوجي الذي وضعه فلاديمير بروب للخرافة يقبل التّطبيق على أيّ حكاية خرافيّة في العالم على اختلاف شعوبه. والحكم ذاته ينطبق على النّموذج العام الذي صاغه "جيرار جنيت" للنصوص السّرديّة في الصّور الثّلاث ( Figures I,II,III) إذ يمكن تطبيقه على أيّ نصّ سردي في العالم مهما كانت لغته كما أنّ التّصور الذي وضعه "جنيت" للتعالي/ التّفاعل النّصي يبدو نموذجا تعليميا قابلا للتطبيق على النّصوص الفرديّة في مختلف الآداب.

غير أنّ هذه النّزعة العلميّة والطّموح العالمي اللذين تنشدهما الشّعريّة البنيويّة قد جرّا عليها نقدا؛ حتى من قبل الذين اعتنقوا البنيويّة في بداياتهم، ومن هؤلاء "رولان بارت" الذي توصل في مقاله المعنون بـ "العلم ضد الأدب" المنشور في ملحق التّايمز إلى نتيجة مفادها أنّ الكتابة هي قلب للخطاب العلمي، الكتابة متعة ومنح للمتعة فهو يرفض العلم والعلمانيّة.[30] من جهته وجّه "رينيه ويليك" نقدا للبنيويّة إذ يرى أنّ الأدب ليس لغة فقط وليس نظاما منفردا للعلاقات الدّاخليّة؛ وإنّما هو تطوير ضخم وتنوع متغير ممتد عبر مساحات ضخمة من الزّمان والمكان[31].

**5. الشّعريّة ومحاولات تجاوز المنهج اللساني:** كان النّاقد والفيلسوف ومنظر الرّواية الرّوسي ميخائيل باختين(Mekhail Bakhtine 1895-1975) أوّل من حاول الابتعاد عن الشّكلانيّة في دراساته حول نظريّة الرّواية، ولكنّه ظلّ رغم ذلك متأثرا بالطّرائقيّة الشّكلانيّة تأثرا واضحا، لقد انتقد النّزعة الموضوعيّة المجردة التي يمثلها "دي سوسير" والتي شكلت الأساس النّظري للشكلانيّة الرّوسيّة، فهذه النّزعة تتصور اللغة كنظام معزول عن المحتوى الإيديولوجي، بينما في الواقع لا يُمكننا الفصل بين اللغة والإيديولوجيا، باعتبار اللغة نظام إشارات مبنيا بناءً اجتماعيا، لذلك حاول باختين أن

يركّز على وظائف النّص خارج عالمه اللغوي، أي على اندراجه في تفاعل متبادل مع ما هو خارج النّص، وهنا عادت مقولة الإيديولوجيا من جديد.

تركّز اهتمام باختين في دراسته للكلمة على مبدأ يقضي بأنّه "لا وجود لتعبير لا تربطه علاقات بتعبيرات أخرى، وهذه العلاقة جوهريّة تماما"[32]. فالكلمة تنتقل من سياق لآخر حاملة معها محمولاتها الإيديولوجيّة، إنّها تدخل في علاقة تفاعليّة مع وضعيتها الحاليّة. ومن هنا انبثق مفهوم "الحواريّة" عند باختين.

إنّ "الحواريّة" حسب تحديدات باختين هي قدر كلّ خطاب، حيث يقول: "إنّ التّوجه الحواري هو بوضوح ظاهرة مشخّصة لكلّ خطاب وهو الغاية الطّبيعيّة لكلّ خطاب حي، يفاجئ الخطاب خطابا آخر بكل الطّرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئا سوى الدّخول معه في تفاعل حاد وحي"[33]. وهنا يتجلى لنا بأنّ "التّفاعل" مضمّن داخل الحواريّة وهو ركيزة أساسيّة من ركائزها، بل هو موضوعها وماهيتها، حيث تبدو العلاقة بينهما كعلاقة المنهج بموضوعه.

يرى "باختين" أنّ الرّواية أساسا هي ظاهرة لغويّة، لذلك عدّ "دستويفسكي" مبتدع رواية متعددة الأصوات،[34] حيث فجرت تعدديّة الأصوات والكتابة المعارضة السّاخرة والاحتفاليّة واحديّة اللغة ووضعت في مركزها الحوار.[35] ورغم أنّ "الحواريّة" ترتبط في تصوّر "باختين" بالحقل اللساني، إلاّ أنّه سعى جاهدا إلى تجاوز هذا الحقل اللّساني إلى خارج الحقل اللساني، وهو ما أسماه بـ "الميتالسّانيّة".(Métalinguistique ) إنّه يتجاوز المنهج اللساني الذي يراه قاصرا، حيث لا يمكن دراسة العلاقات الحواريّة بالاعتماد على الزّاويّة اللسانيّة فقط. كما أنّ هذه الزّاويّة تعجز عن دراسة ظواهر من مثل: المحاكاة الأسلوبيّة والمحاكاة السّاخرة. خصوصا وأنّ اللسانيات البنيويّة تعزل اللغة عن السّياق الاجتماعي والإيديولوجي.

في إطار اهتمام باختين بالسّياق (Contexte) انبثقت نظريته حول الملفوظ (Enoncé) والتي أدت إلى توجيه الدّراسات الأدبيّة نحو السّيميولوجيا(Sémiologie وكذلك أدت إلى ظهور التّداوليّة التي تهتم بدراسة اللغة في سياقاتها المتعددة. وهي تعدّ أيضا نظريّة مركزيّة بالنّسبة لتكوّن مفهوم التّناص مع جوليا كريستيفا.

لا تقتصر محاولات تجاوز الشّعريّة لحدود المنهج اللّساني على باختين، بل هناك محاولات أخرى انبثقت عن الانتقادات التي وجهت إلى البنيويّة الشّكلانيّة، فقد تولت جماعة من البنيويين الفرنسيين تطوير ومراجعة بعض المقولات النّظريّة للبنيويّة والتي كانت محل انتقادات خصومهم، حيث أصدر "تزفتان تودوروف" (Tzvétan Todorov ) كتابا بعنوان "ما هي البنيويّة" سنة1967 ثم أعاد نشره سنة 1973 بعنوان جديد هو الشّعريّة، فالشّعريّة حسب هذا الكتاب ما هي إلاّ تطوير ومراجعة للبنيويّة.

انتهى "تودوروف" في آخر صياغاته للشعريّة إلى أنّ دراسة التّغيّر جزء متكامل من الشّعريّة؛ فكل نسق آني له ماضيه ومستقبله، كان ذلك يعني الحديث عن الشّعريّة العامّة التي تركّز على المحايثة الآنيّة للأدب في مقابل الحديث عن شعريّة التّعاقب التي هي التّاريخ الأدبي في ثوبه البنيوي وطموحه المنهجي في أن يكون تاريخا للأنساق.[36] لذلك حاول تودوروف في كتابه الشّعريّة أن يلتفت إلى بعض القضايا التي اتهم البنيويون بالتّغاضي عنها مثل: المعنى والعلاقة بين البنى (في الأدب) والتّاريخ، ودور القارئ في إنتاجيّة النّص.[37] وبهذه الإضافات والتّعديلات تصبح الشّعريّة بنيويّة مفتوحة على التّاريخ الأدبي ونظريّة القراءة والأجناس الأدبيّة والجماليّة[38].

حاول "تودوروف" البحث في شعريّة التّعاقب من خلال دراسة النّظام التّطوري للأجناس الأدبيّة، حيث يشير إلى أنّ مسألة الأجناس تعدّ "من المشاكل الأساسيّة للبويطيقا (الشّعريّة) منذ القديم حتى الآن، فتحديد الأجناس وتعدادها ورصد العلائق المشتركة بينها لم يتوقف عن فتح باب الجدال. وتعتبر هذه المسألة حاليا متصلة بشكل عام بالنّمذجة البنيويّة للخطابات، حيث لا يعتبر الخطاب الأدبي سوى حالة نوعيّة"[39].

لذلك عكف تودوروف في كتابه "أجناس الخطاب" على تحليل ظاهرة تناسل الأجناس الأدبيّة، حيث يوضح ذلك بقوله: "من أين تأتي الأجناس؟ إنّها بكل بساطة تتولد عن أجناس أدبيّة أخرى"[40] وفق نظام أو نسق تطوّري يحكمها، لكن تودوروف لم يكن الباحث الوحيد الذي حاول تجاوز الدّراسة السّنكرونيّة (التي ترتكز عليها اللسانيات البنيويّة) في دراسة الأجناس الأدبيّة، ففي روسيا حاول "ألكسندر فيسلوفسكي" أن يترجم الشّعريّة تاريخيا، حين قدّم تاريخا تطوريا شاملا للشعر، تحرّى فيه تاريخ

الوسائل الشّعريّة والموضوعات والأشكال والأنواع من خلال كل الآداب الشّفهيّة والكتابيّة، ومن الطّبيعي أن يظل مشروعه غير مكتمل[41].

يعدّ الباحث البويطيقي الفرنسي "جيرار جنيت" (Gérard Genette) من أبرز المؤسّسين للبنيويّة السّرديّة في فرنسا، ففي عمله الموسوم بـ "الصّور الثّلاث" ( Figures I,II,III) حصر الشّعريّة في نطاق اشتغال الخطاب داخل المحكي وتشكّله، أي أنّه كان يركّز على البنى الدّاخليّة في السّرد لكنّه طوّر هذه النّظرة المغلقة إلى النّظرة المفتوحة حينما حدّد موضوع الشّعريّة بأنّه "ليس النّص وإنّما معمار النّص"، فالشّعريّة مفتوحة "على العمل الخاص والجوهري للعلاقة، حيث لا يفتأ النّص يفيض على إنيته: علاقة بين النّص والعالم، علاقة بين النّص ونصوص أخرى، علاقة جماليّة أو علاقة فنيّة"[42] فالشّعريّة البنيويّة حاولت أن تتجاوز مفهوم البنيّة الذي أنتجته اللسانيات البنيويّة؛ وذلك من خلال توسيع المجال أو الموضوع من النّص المفرد الذي يتناوله النّقد الأدبي إلى النّص كأدب ممكن وافتراضي، وعليه فالشّعريّة بهذا المعنى ليست "سوى استكشاف لممكنات الخطاب"[43].

عندما ألّف "جيرار جنيت" كتابه "أطراس (Palimpsestes ) عام 1982م حاول ربط ظاهرة "التّفاعل النّصي" (أو التّناص) بالشّعريّة (poétique ) عموما، حيث يرى أنّ موضوع الشّعريّة ليس هو النّص باعتبار تفرده وتميزه (فهذه بالأحرى مهمّة النّقد) بل إنّ موضوعها هو "النّص الجامع"، بل النّص المتعالي، يقول: "لا يهمّني النّص حاليًا إلاّ من حيث «تعاليه النّصي» أي أن أعرف كلّ ما يجعله في علاقة خفيّة أو جليّة مع غيره من النّصوص: هذا ما أطلق عليه «التّعالي النّصي»"[44].

والنّص الجامع هو تقريبا، بمعنى "أدبيّة الأدب"، إذ يعرّفه "جنيت" بأنّه "مجموع المقولات العامّة أو المتعاليّة التي يتوفر عليها كلّ نص فرد، وهي أنماط الخطاب وصيغ التّلفظ والأجناس الأدبيّة وغيرها."[45] ومن هنا ستنشأ في النّص عدّة علاقات مع نصوص أخرى، والانشغال البويطيقي ينصبّ على دراسة هذه العلاقات المتعددة وتبعا لذلك يتضمن التّعالي النّصي «La transtextualité» –وهو ما اصطلح عليه بعض الباحثين بـ "التّفاعل النّصي"–خمسة أنماط من العلاقات:

1/التّناص «Intertextualité»

2/النّصيّة الموازيّة «Paratextualité»

3/ الوصف النّصي «Metatextualité»

4/النّصيّة المتفرّعة أو التّعلق النّصي «Hypertextualité»

5/النّصيّة الجامعة «L'architextualité»

هذه الأنماط التّناصيّة هي التي تشكل موضوع الشّعريّة حسب "جنيت"، موضوع يؤكّد على أنّ شعريّة "جنيت" تبدو شعريّة عامّة متجاوزة للمنهج اللساني المغلق، إنّها شعريّة بنيويّة منفتحة: علميّة موضوعيّة ونوعيّة قابلة للتطبيق على النّصوص الفرديّة.

**6. خاتمة:** نستنتج ممّا سبق أنّ العلاقة بين الشّعريّة الغربيّة الحديثة بوصفها نظريّة أدبيّة واللسانيات البنيويّة هي علاقة وطيدة. ويتجلى ذلك في إفادة الشّعريّة من أهم المفاهيم اللسانيّة التي جاء بها "دي سوسير" وفي مقدّمتها البنيّة أو النّظام وكذا استنادها إلى مبدأ المحايثة والنّظرة التّقابليّة (الثّنائيات السّوسيريّة)، وأهم من ذلك أنّ اللسانيات تمنح الشّعريّة مشروعيّة لتحديد موضوعها بوصفها علما للأدب.

غير أنّ تبعيّة الشّعريّة للسانيات لم تكن مطلقة، فقد سعت الشّعريّة البنيويّة في فرنسا إلى تجاوز المنهجيّة اللسانيّة الصّارمة من خلال محاولتها الانفتاح على قضايا تتعلّق بالتّاريخ الأدبي والواقع والقراءة والجماليّة، وقد تجلى هذا الانفتاح بصورة واضحة في أعمال الباحث الفرنسي "جيرار جنيت". ورغم محاولات التّجاوز أو الانفتاح هذه، لم تستطع الشّعريّة التّخلص الكلي من المقولات والمفاهيم الأساسيّة للسانيات البنيويّة التي أصبحت فيما بعد قواعد أساسيّة راسخة بالنّسبة للنظريات التي تلت البنيويّة، بل إنّ بعض النّظريات لم تتخلص من البنيويّة حتى على مستوى التّسميّة، فهناك: السّيميائيّة البنيويّة والبنيويّة التّكوينيّة والأسلوبيّة البنيويّة، وحتى نظريات "ما بعد البنيويّة" التي طوّرها باحثون ومنظرون كانوا منضويين تحت مظلّة البنيويّة نفسها.

**7. قائمة المراجع:**

**1.7 المراجع باللسان العربي:**

1) أحمد أبو زيد: مدخل إلى البنائيّة، المركز القومي للبحوث الاجتماعيّة والجنائيّة القاهرة 1995.

2) تزفتان تودوروف: الشّعريّة، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.

3) تزفتان تودوروف: نظريّة المنهج الشّكلي، تر: إبراهيم الخطيب، الشّركة المغربيّة للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

4) تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، رؤيّة للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2012.

5) جابر عصفور: نظريات معاصرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب القاهرة،1998.

6) جون ستروك: البنيويّة وما بعدها (من ليفي شتراوس إلى دريدا)، تر: محمّد عصفور عالم المعرفة، الكويت، ع206، فبراير 1996.

7) جون كوهين: بنيّة اللغة الشّعريّة، تر: معمد الولي ومحمّد العمري، دار توبقال للنشر الدّار البيضاء، المغرب، ط،1، 1986.

8) جيرار جنيت: مدخل إلى جامع النّص، تر: عبد الرّحمن أيوب، دار توبقال للنشر المغرب، ط2، 1986.

9) جيزيل فالانسي: النّقد النّصي، ضمن كتاب: مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، عالم المعرفة، الكويت، ع221، 1997.

10) حسن ناظم: مفاهيم الشّعريّة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب ط1 1994.

11) رومان جاكوبسون: قضايا الشّعريّة، تر: محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.

12) رينيه ويليك: مفاهيم نقديّة، تر: محمّد عصفور، عالم المعرفة، الكويت ع110، فبراير 1987.

13) رينيه ويليك: الهجوم على الأدب، تر: حنا عبود، الأهالي للنشر والتّوزيع دمشق سوريا ط1، 2000.

14) عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، دراسة في سلطة النّص، عالم المعرفة الكويت ع298، نوفمبر 2003.

15) فردیناند دي سوسیر: علم اللغة العام، تر: یوئیل یوسف عزیز، دار آفاق عربیّة بغداد د/ط، 1985.

16) فکتور إیرلیخ: الشّکلانیّة الرّوسیّة، تر: الولي محمّد، المرکز الثّقافي العربي الدّار البیضاء، المغرب، ط1، 2000.

17) نتالي بییقي . غروس: مدخل إلى التّناص، تر: عبد الحمید بورایو، دار نینوى للدراسات والنّشر والتّوزیع، سوریا، د/ط، 2012.

**2.7 المراجع باللسان الفرنسي:**

1) Cristine Montalbetti, Gérard Genette: une poétique ouverte Bertrand Lacoste, Paris, 1998.

2) Gérard Genette : Palimpsestes, la littérature au second degré Editions du seuil, paris, 1982.

3) Gérrard Génette, Figures III, Collection Poétique, Le seuil IIIparis 1972.

**4)** Théorie de la littérature. Textes des formalistes Russes" Traduits par Tzvetan Todorov. Ed seuil. Paris, 1965.

5) Tzvétan Todorov et Oswald Ducrot: dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed seuil, paris, 1972.

6) Tzvetan Todorov: Les genres du discours, éd Seuil, Paris, 1978.

**8. الهوامش:**

1- "Théorie de la littérature. Textes des formalistes Russes" Traduits par: Tzvetan Todorov. Ed seuil. Paris, 1965, P15.

2 . حسن ناظم: مفاهیم الشّعریّة، المرکز الثّقافي العربي، الدّار البیضاء، المغرب، ط1 1994، ص9.

3 . ینظر: فکتور إیرلیخ، الشّکلانیّة الرّوسیّة، تر: الولي محمّد، المرکز الثّقافي العربي، الدّار البیضاء، المغرب، ط1، 2000، ص14.

4 . ینظر: جیزیل فالانسي، النّقد النّصي، ضمن کتاب: مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، عالم المعرفة، الکویت، ع221، 1997، ص168.

5- Voir : "Théorie de la littérature. Textes des formalistes Russes" p17.

6 . رینیه ویلیك: الهجوم على الأدب، تر: حنا عبود، الأهالي للنشر والتّوزیع، دمشق، سوریا ط1، 2000، ص207.

7 . المرجع نفسه، ص208، 209.

8. رومان جاكوبسون: قضايا الشّعريّة، تر: محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال المغرب ط1، 1988، ص35
9. المرجع نفسه، ص35
10. ينظر: فكتور إيرليخ، الشّكلانيّة الرّوسيّة، ص17.
11. ينظر: فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربيّة بغداد، د/ط، 1985، ص32، 38.
12. ينظر: تزفتان تودوروف، نظريّة المنهج الشّكلي، تر: إبراهيم الخطيب، الشّركة المغربيّة للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص57.
13. جيزيل فالانسي: النّقد النّصي، ص168.
14. ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشّعريّة، ص90.
15. ينظر: رومان جاكوبسون، قضايا الشّعريّة، ص33.
16. ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشّعريّة، ص100.
17. رينيه ويليك: مفاهيم نقديّة، تر: محمّد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، ع110، فبراير 1987، ص 370.
18. المرجع نفسه، ص371
19. ينظر: أحمد أبو زيد، مدخل إلى البنائيّة، المركز القومي للبحوث الاجتماعيّة والجنائيّة القاهرة، 1995، ص171.
20. ينظر: جون ستروك، البنيويّة وما بعدها (من ليفي شتراوس إلى دريدا)، تر: محمّد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، ع206، فبراير 1996، ص8.
21. ينظر حسن ناظم: مفاهيم الشّعريّة، ص113.
22. جون كوهين: بنيّة اللغة الشّعريّة، تر: معمد الولي ومحمّد العمري، دار توبقال للنشر الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص9.
23. المرجع نفسه، ص16.
24. ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشّعريّة، ص111، 117.
25. ينظر: رينيه ويليك، الهجوم على الأدب، ص66.
26. ينظر: عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، دراسة في سلطة النّص، عالم المعرفة الكويت، ع298، نوفمبر 2003، ص92.
27. ينظر: جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة1998 ، ص223.
28. ينظر: رينيه ويليك، مفاهيم نقديّة، ص367.
29. ينظر: عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، ص90.
30. ينظر: رينيه ويليك: الهجوم على الأدب، ص75، 76.
31. ينظر: المرجع نفسه، ص67.
32. تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، رؤيّة للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص156.
33. المرجع نفسه، ص161.

34 . يستعمل باختين للتعبير عن مفهوم "التّفاعل" بالإضافة إلى مصطلح "الحواريّة" مصطلحا آخر هو "تعدد الأصوات" (Polyphonique)، لذلك يرى أنّ دوستويفسكي مبتدع رواية متعددة الأصوات، يقول: « إننا ننظر إلى دوستويفسكي على أنّه واحد من أعظم المجددين في ميدان الشّكل الفني. لقد أوجد في رأينا، نمطا جديدا تماما من التّفكير الفني، هذا النّمط الذي اصطلحنا عليه بـ "المتعدد الأصوات"». ينظر: ميخائيل باختين، شعريّة دوستويفسكي تر: جميل نصيف التّكريتي، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1986 ص5.

35 . نتالي بييقي . غروس: مدخل إلى التّناص، تر: عبد الحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنّشر والتّوزيع، سوريا، د/ط، 2012، ص33.

36. جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص225.

37 . ينظر: تزفتان تودوروف، الشّعريّة، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، مقدمة المترجم، ص6.

38 . ينظر: المرجع نفسه، ص75. 86.

39- Tzvétan Todorov et Oswald Ducrot: dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed seuil, paris, 1972, p193.

40- Tzvetan Todorov: Les genres du discours, éd Seuil, Paris, 1978 p47.

41 . رينيه ويليك، الهجوم على الأدب، ص64.

42- Cristine Montalbetti, Gérard Genette: une poétique ouverte Bertrand Lacoste, Paris, 1998, p63, 64.

1972, P11. 43- Gérrard Génette, Figures III, Collection Poétique, Le seuil IIIparis

44. جيرار جنيت: مدخل إلى جامع النّص، تر: عبد الرّحمن أيوب، دار توبقال للنشر المغرب، ط2، 1986، ص90.

45- Gérard Genette : Palimpsestes, la littérature au second degré Editions du seuil, paris, 1982, p7.